خمسون قاعدة
في التعامل مع الاختلافات الفقهية

تأليف
فضيلة الشيخ : حذيفة بن حسين القحطاني
غفر الله لهُ ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب:

الحمد لله الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء رحمةً وحكمةً وتقديرًا، وشرع لعباده من الدين ما يصلح به حالهم، واختلفت فيه أنظارهم، لحكمةٍ بالغة، ونعمةٍ سابغة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الرحمة، وإمام الحكمة، علّم الأمة كيف تتعامل مع الفروع باجتهادٍ وإنصاف، وكيف تسير في ظلال الشريعة بلا تعصّبٍ ولا إسراف.

أما بعد:

فإن **الاختلاف الفقهي** ظاهرةٌ قديمة، باقيةٌ ما بقي الاجتهاد، ناشئةٌ عن تباين المدارك، وتنوّع طرق الفهم والاستنباط، وهو – في أصله – **رحمةٌ وسَعة، لا فتنةٌ وبدعة**، إذا أحسن المسلم التعامل معه بأدب العلماء، وإنصاف الفضلاء.

غير أن **الفتنة في زماننا ليست في وجود الاختلاف، بل في سوء أدب التعامل معه**؛ إذ انقلبت بعض مسائل الاجتهاد إلى معارك صدام، وتحوّل الخلاف السائغ إلى سلاحٍ للطعن والخصام، وغابت قواعد التوازن، وتوارى خُلق الإنصاف.

من هنا نشأ هذا الكتاب الموسوم بـ: **"خمسون قاعدة في التعامل مع الاختلافات الفقهية"**، ضمن سلسلة: **"جواهر الخمسين في سائر الميادين"**، ليكون لبنةً في بناء الوعي الفقهي، ووسيلةً لتهذيب النظر الشرعي، ومرآةً تعكس توازن السلف في الخلاف، بلا إفراط ولا تفريط.

وقد جمعت فيه – بعون الله – خمسين قاعدة محكمة، من كلام الأئمة الراسخين، ومناهج المتقين، بأسلوبٍ ميسّر، وعبارةٍ واضحة، وترتيبٍ يجعلها صالحةً للتدريس والتعليم، وللنظر والتأمل والتأصيل.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع به الأمة، ويجعله مباركًا حيثما حَلَّ، وأن يرزقنا وإياكم حسن الفهم، وصلاح القصد، وجميل الأدب في مواطن الاتفاق والخلاف.

وصلى الله وسلم على من علّم الناس الحكمة، وزكّى النفوس، وهدى إلى سواء السبيل، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

فضيلة الشيخ : حذيفة بن حسين القحطاني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

أهداف الكتاب:

١. تربية النفس على حسن الظن بالعلماء، وفهم أسباب الخلاف الفقهي المشروع.

٢. تعزيز مبدأ الرحمة والسعة في المسائل الاجتهادية، بعيدًا عن التشنّج والتنازع.

٣. تمكين طلبة العلم من قواعد ضابطة تقيهم غوائل الانحراف في باب الخلاف.

٤. بيان أن الخلاف السائغ لا يُوجب التبديع ولا التفسيق، بل يُدار بأدبٍ وفقه.

٥. مواجهة دعاوى التهويل والتجهيل، وإحياء فقه السلف في التعامل مع المخالف.

٦. إرساء منهج وسط في التعامل مع المذاهب الفقهية، بلا تعصّب ولا تمييع.

مميزات الكتاب:

١. يعرض القواعد بأسلوب علميٍّ سهل، مزوّد بالأمثلة التطبيقية والتأصيلات المتينة.

٢. يندرج ضمن موسوعة (جواهر الخمسين)، ليكمل مشروعًا علميًّا تربويًّا متكاملًا.

٣. يجمع بين التأصيل الشرعي والتوجيه التربوي، في عرض متناسق ومختصر.

٤. يصلح للشرح والتعليم، وللدورات والملتقيات، ويخاطب الداعية والمعلّم والمتفقّه.

٥. يتدرّج في القواعد من البديهي إلى الدقيق، ليبني تصوّرًا سليمًا لدى القارئ.

٦. يركّز على فقه الخلاف لا على مسائل الخلاف، ليكوّن عقلًا علميًّا متزنًا.

خمسون قاعدة في التعامل مع الاختلافات الفقهية

أولاً: القواعد الأساسية في تقبل الاختلاف

١. الاختلاف سنة كونية (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) [هود: ١١٨].

٢. الاجتهاد في المسائل الظنية مشروع، ومن أخطأ فله أجر واحد، ومن أصاب فله أجران.

٣. لا إنكار في مسائل الاجتهاد التي يسوغ فيها الخلاف.

٤. التنوع الفقهي ثروة وليس عيبًا، إذا كان ضمن الضوابط الشرعية.

٥. الخلاف لا يفسد للود قضية، فلا يجوز القطيعة بسبب الرأي الفقهي.

ثانياً: آداب الحوار والنقاش

٦. الإنصاف وعدم التعصب للرأي.

٧. التثبت قبل نقد الآخرين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات: ٦].

٨. الابتعاد عن التجريح أو اتهام النوايا.

٩. التزام الأدب حتى مع المخالف (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣].

١٠. الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: ١٢٥].

ثالثاً: التعامل مع المذاهب الفقهية

١١. احترام المذاهب المعتبرة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي، وغيرها).

١٢. عدم تسفيه آراء الآخرين أو وصفها بالجهل.

١٣. التفريق بين المسائل القطعية والاجتهادية.

١٤. لا يُكفَّر ولا يُفسَّق مجتهد في مسائل الخلاف.

١٥. الأخذ بالأيسر عند التعارض بين الآراء المعتبرة، إذا كان ذلك أرفق بالناس.

رابعاً: التعلم والاستفادة من الاختلاف

١٦. دراسة أسباب الاختلاف لفهمه، لا لمجرد رفضه.

١٧. الاستفادة من تنوع الآراء في توسيع الفهم الشرعي.

١٨. الرجوع إلى أهل العلم في حال التباس الأمور.

١٩. التأكيد على المقاصد الشرعية وليس فقط النصوص الجزئية.

٢٠. التعرف على مناهج العلماء في الاستنباط لمعرفة سبب الاختلاف.

خامساً: تجنب الأخطاء الشائعة

٢١. عدم إلزام الناس برأي واحد في المسائل الاجتهادية.

٢٢. الابتعاد عن التسرع في التخطئة قبل الفهم الكامل.

٢٣. عدم إثارة الفتن بسبب الخلافات الفقهية.

٢٤. ترك التكبر العلمي واعتقاد امتلاك الحقيقة المطلقة.

٢٥. عدم الاستهانة باجتهادات العلماء السابقين.

سادساً: في التعامل مع العامة

٢٦. تبسيط الخلافات وعدم إرباك الناس بالتفاصيل الفقهية الدقيقة.

٢٧. عدم تحميل الناس ما لا يطيقون بسبب التعصب لرأي.

٢٨. التيسير لا التعسير (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٨٥].

٢٩. ترك التضليل والتشديد في المسائل الخلافية.

٣٠. التذكير بوحدة الأمة وعدم تمزيقها بسبب الفروع.

سابعاً: في النقد العلمي

٣١. النقد الموضوعي بعيدًا عن الهوى.

٣٢. الاعتراف بالخطأ إذا تبين الصواب في رأي الآخر.

٣٣. عدم اختزال الحق في شخص أو مذهب.

٣٤. العدل في النقل عن المخالفين.

٣٥. عدم الخلط بين العلم والخلاف الشخصي.

ثامناً: في الفتوى والتعليم

٣٦. مراعاة حال المستفتي (ثقافته، بيئته، ظروفه).

٣٧. التدرج في التعليم وعدم طرح الخلافات المعقدة على المبتدئين.

٣٨. التنبيه على الراجح بدليله دون تحقير الآخرين.

٣٩. عدم إصدار الفتوى بدون علم (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [الأعراف: ٣٣].

٤٠. التواضع في الإجابة بقول: "الله أعلم" أو "هذا رأيي".

تاسعاً: في العمل الجماعي والدعوة

٤١. التعاون في المشترك وعدم جعل الخلافات عائقًا.

٤٢. ترك التشدد في الفروع عند العمل مع المخالفين.

٤٣. تقديم المصلحة العامة على الخلافات الفقهية.

٤٤. عدم فرض الرأي في الأمور الاجتهادية داخل المؤسسات الدعوية.

٤٥. التذكير بأن الخلاف في الفروع لا يمنع الأخوة الإيمانية.

عاشراً: قواعد ذهبية ختامية

٤٦. التمسك بالكتاب والسنة كمرجعية عليا مع فهم السلف.

٤٧. التعامل بالرحمة مع المخالف (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: ٢٩].

٤٨. التذكر الدائم بأن الحق ليس حكرًا على أحد.

٤٩. الصبر على المخالف وعدم قطع العلاقات بسبب الرأي.

٥٠. الدعاء بالهداية للجميع (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) [آل عمران: ٨].

هذه القواعد تساعد في إدارة الاختلافات الفقهية بطريقة حضارية تحفظ وحدة الأمة وتُعلي قيمة الأدب والعلم. والله أعلم.

أولاً: في فهم طبيعة الاختلاف

١. الاختلاف ليس شرًّا كله، بل قد يكون دليلَ حيوية الفكر الإسلامي.

٢. تعدد الآراء دليل على سعة الشريعة ومرونتها.

٣. لا إنكار إلا في المسائل القطعية (كالفرائض والمحرمات المتفق عليها).

٤. التمييز بين الخلاف السائغ والخلاف غير السائغ (كالبدع والضلالات).

٥. الاختلاف في الفروع لا يبرر الفرقة في الأصول.

ثانياً: في التعامل مع العلماء

٦. تقدير جهود العلماء حتى لو اختلفت معهم.

٧. عدم اتهام العلماء بالتقصير لمجرد المخالفة.

٨. فهم السياق التاريخي والاجتماعي لآراء العلماء.

٩. الاعتراف بترجيحات المخالف إذا كانت مقنعة.

١٠. عدم اختزال العالم في رأي واحد خالفك فيه.

ثالثاً: في التربية والتعليم

١١. تعليم طلاب العلم آداب الاختلاف قبل تعليمهم الفقه نفسه.

١٢. عدم تحويل المسائل الخلافية إلى معارك في classrooms.

١٣. تشجيع الطلاب على دراسة الأدلة لا مجرد التقليد.

١٤. تنبيه المبتدئين إلى خطر التسرع في الترجيح دون علم.

١٥. ترسيخ مبدأ "التمسك بالأدلة مع احترام المخالف".

رابعاً: في النقد والتقويم

١٦. النقد بالدليل لا بالهوى.

١٧. عدم تصوير الرأي المخالف على أنه "شذوذ" إلا بعد التثبت.

١٨. التعامل مع الخطأ الفقهي بالتصويب لا بالتهويل.

١٩. العدل في ذكر محاسن المخالف قبل نقده.

٢٠. ترك الانتصار للنفس في المناظرات.

خامساً: في الفتوى والتطبيق العملي

٢١. عدم إلزام الناس برأيٍ لم يعتمدوه في مسائل الخلاف.

٢٢. مراعاة العرف والعادة في الفتوى (كاختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان).

٢٣. التيسير على الناس في المسائل الاجتهادية.

٢٤. عدم التشنيع على من عمل بقول عالم معتبر.

٢٥. التنبيه على أن بعض الخلافات قد تكون "خلاف تنوع" لا "خلاف تضاد" (كاختلاف صيغ الأذان).

سادساً: في التواصل المجتمعي

٢٦. عدم تحويل الخلاف الفقهي إلى عداوة شخصية.

٢٧. التأكيد على المشتركات الدينية عند الحوار مع المخالف.

٢٨. احترام اختيارات الناس الفقهية ما دامت ضمن المذاهب المعتبرة.

٢٩. عدم السخرية من الملتزمين برأي مخالف (كاللحية أو النقاب أو الصلاة بطرق مختلفة).

٣٠. التذكير بأن الخلاف الفقهي لا يبرر التفرق في الصفوف.

سابعاً: في التعامل مع النصوص

٣١. فهم النصوص في إطارها الشمولي لا بشكل مجتزأ.

٣٢. الاعتراف بتعدد أوجه التفسير للنص الواحد.

٣٣. عدم إهمال السياقات التاريخية للنصوص.

٣٤. الجمع بين النصوص عند الإمكان قبل القول بالتعارض.

٣٥. التمييز بين النص الثابت والاجتهاد البشري في فهمه.

ثامناً: في الموازنة بين الآراء

٣٦. العدل في عرض آراء المخالفين دون تشويه.

٣٧. عدم إغفال الأقوال الضعيفة تمامًا إذا كانت معتمدة عند بعض العلماء.

٣٨. التأكيد على أن الاختلاف قد يكون بسبب اختلاف المنهج (كاختلاف المحدثين عن الفقهاء).

٣٩. عدم المبالغة في تقديم الرأي المرجوح على أنه "رأي الجمهور".

٤٠. التواضع في القول: "هذا الصواب" في المسائل الاجتهادية.

تاسعاً: في التعامل مع المستجدات

٤١. مراعاة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان.

٤٢. عدم تحميل النصوص ما لا تحتمل لتبرير رأي معين.

٤٣. الاستفادة من التراكم الفقهي عبر التاريخ في حلول القضايا المعاصرة.

٤٤. فتح الباب للاجتهاد الجماعي في المسائل المستجدة.

٤٥. التأكيد على أن الاختلاف في المستجدات أوسع لعدم وجود نص صريح.

عاشراً: قواعد سلوكية عامة

٤٦. التخلق بخلق النبي ﷺ في الرفق واللين حتى مع المخالف.

٤٧. التذكر الدائم بأننا سنحاسب على أدبنا قبل رأينا.

٤٨. عدم إضاعة الوقت في جدال غير مفيد.

٤٩. الدعاء للمخالف بالهداية كما كان السلف يفعلون.

٥٠. التأكيد على أن الهدف الأسمى هو رضا الله، لا الانتصار للرأي.

خاتمة الكتاب:

الحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، الذي علّم بالقلم، وهدى للتي هي أقوم، ورفع منازل العلماء، وأعلى شأن الفقه والفهم.

وبعد مسيرة علمية قصيرة في مبناها، عظيمة في معناها، طوّفنا فيها في رياض القواعد، وقطفنا من بساتين السلف أعذب الفوائد، في **باب التعامل مع الاختلافات الفقهية**، فقد آن أوان الختام، وآن أن نختم الكلام بالكلام الطيب والسلام.

وقد سعينا في هذا الكتاب إلى جمع خمسين قاعدة راسخة، تُسهم في تهذيب النفس، وتثبيت الفؤاد، وترويض الفكر في مسالك الخلاف، على طريقة أهل العلم والإنصاف، فليست العبرة بكثرة الخلاف، بل بكيفية إدارته، وفقه أسبابه، وفهم منازله وحدوده.

وهذا الجهد وإن قلّ، ففيه نية التقرب، وإن قصر، ففيه قصد التذكير، وإن خلا من الكمال، فما خلا من بذل المقال، **فبراءةُ الذمة نكتبها، ونداء الصدق نرفعه: لا عصمة لنا، ولا كمال في عملنا، وما وفقنا فيه فمن فضل الله، وما زللنا فيه فنسأل الله العفو والعافية.**

وختامًا، فإننا نضع هذا الكتاب ضمن موسوعة: **"جواهر الخمسين في سائر الميادين"**، ليكون لبنةً في بناء مشروعٍ علميٍّ متين، يتناول قضايا الأمة بأسلوب رصين، في زمن كثرت فيه الأقوال، وقلّ فيه وزن الرجال، وساد فيه الجدل على حساب العلم والعمل.

فاللهم تقبّل، وبارك وسدّد،

واجعل لنا به في الدارين زادًا ومددًا،

وصلى الله وسلّم على نبي الرحمة، وإمام الحكمة، محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

فضيلة الشيخ : حذيفة بن حسين القحطاني

غفر الله لهُ ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين